سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

أدبُ طالب العلم
مع مشايخه ومعلِّميه

لفضيلة الشّيخ **صالح بن عبد العزيز آل الشيخ**

حفظه الله تعالى

[الدرس السابع من دروس شرح الطحاوية]

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبد الله ورسوله، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد..

فأسأل اللهَ جل وعلا أن يجعلني وإيَّاكم من المتقرِّبين إليه بما يحبُّ، ومن المخلصين له دينَهم، وأن يجعلنا من أهل الدُّعاء المسموع والقلب الخاشع، وأن لا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين.

وقد جرت العادة أنَّه في ابتداء هٰذه الدُّروس أن نقدِّم بمقدِّمة نافعة في آداب المتعلِّم في طلبه للعلم، ومع مشايخه، وفي صِلته بالكتب، وبالحفظ.. وأشباه ذلك ممَّا يحتاجه المتعلِّمون.

ولا شكَّ أنَّ الأدب العام لطالب العلم مهمٌّ كأهمِّية العلم؛ لأنَّ من لم يُدرك الأدب ولم يكن متأدِّبًا بآداب أهل العلم فيما يأتي وفيما يذر وفي منهجه وفي طريقته؛ فإنَّه يفوته الانتفاع بالعلم كثيرًا؛ لأنَّ هناك صلة قوية متينة ما بين الأدب والعلم؛ أدب طالب العلم وما بين العلم نفسِه.

وقد ذكروا أنه كان يُحصىٰ في مجلس الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ يُحصىٰ فيه عدد من الألوف كلهم يسمعون كلامه وكان الذين يكتبون منهم قريبا من خمسمائة وأما الباقي فيستفيدون الأدب والهدي والعلم؛ يعني العلم العام.

وهٰذا ملاحظ فإنه ليس كل من يحضر متحقِّقا للعلم، متحقِّقا بطريقة تحصيله، ولكن لن يعدم خيرًا وفائدة، وقد قال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (**لا خير في الدُّنيا إلا لأحد رجلين متكلِّم عالم أو صامت واعٍ**) وهٰذا ظاهر بيِّن فيما تلاحظه فإنَّ الدنيا لا خير فيها إلا لعالم متكلِّم يفيد أو صامت كافٍّ عمّا لا يعنيه واعٍ للعلم النافع الذي يلقىٰ إليه، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾**﴾ [النساء]، وقد صحَّ عنه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أنه قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَومِ الآخر: فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَو لِيَصْمُتْ**»، وهٰذا كما قال أبو الدرداء (لا خير في الدُّنيا إلا لأحد رجلين صامت واعٍ أو عالم متكلم) أو كما قال.

لهٰذا عرضنا فيما سبق عددًا من الآداب في صدر هٰذه الدُّروس التي ينبغي لطالب العلم أن يتعاهدها وأن يتعلمها.

ونذكر في هٰذه الليلة: **أدب طالب العلم مع مشايخه ومعلميه**.

وقبل هٰذا نذكر بعض الكتب التي عُنيت بآداب طالب العلم بعامة ومع المشايخ بخاصَّة، فمن ذلك:

- كتاب ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ «الجامع».
- وكتاب الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ أيضا «الجامع».
- ومن ذلك كتاب ابن جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ «تذكرة السَّامع والمتعلم».
- ومن ذلك مقدِّمة «المجموع شرح المهذب» للنَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ.
- ومن ذلك أيضا ما تفرق في كتاب «سير أعلام النبلاء» من آداب كثيرة.
- ومنها ما جاء في مقدمة «سنن الدارمي» أيضا.

وفي عدد من الكتب التي ذكرت فيها آداب كثيرة لطالب العلم، وقد صُنّف في هٰذا الوقت المتأخِّر يعني في زماننا مؤلفات كثيرة ما بين من أجاد ومن توسط ومن كان ضعيفا.

والمقصود من ذلك أن يحصِّل طالب العلم مع العلم الأدب، ونعني بالأدب الهدي والسَّمت الذي يكون عليه، ولهٰذا كان من الأصول العامة التي ينبغي التواصي بها أن يكون طالب العلم ذا سمت حسن وذا هدي ودل، فقد قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم: ما كان أحد أشبه هديا وسمتا ودلًّا لرسول الله ﷺ من ابن مسعود. وقال بعض أصحاب ابن مسعود: ما كان أحد أشبه سمتا لابن مسعود من الربيع بن خُثيم. وهكذا في أمثلة كثيرة يكون المتعلِّم يأخذ مع العلم الهدي والسَّمت والأدب؛ لأنَّ هٰذه لا يحصِّلها المتعلم بالقراءة للكتب ولا يحصلها بالإطلاع ولا يحصلها بكثرة السماع المجرد عن الاختلاط، ولهٰذا كان كثيرٌ من طلاب العلم الذين لا يخالطون المشايخ ولا يقتربون منهم يفقدون كثيرًا من الهدي والسمت والمنهج لأجل عدم القُرب من أهل العلم والمشايخ.

فالأصل العام أن يكون طالب العلم حريصا علىٰ الهدي وعلىٰ السَّمت وعلىٰ العلم، وأن يكون متأدبا بآداب المشايخ، وكلَّما كان المرء أصحب للمشايخ وأقل صحبة لأقرانه كلَّما كان أقرب إلىٰ العلم؛ لأنه هناك صلة وثيقة ما بين إدراك العلم والمخالطة، فإذا خالط من هو أكبر منه من أهل العلم والمشايخ فإنَّه يكون هديه وفهمه وفكره قريبًا من هديهم وعلمهم وفكرهم وسمتهم ورؤيتهم للأشياء وكيف تعلَّموا وكيف أخذوا وكيف يتعاملون مع الكتب ومع الناس إلىٰ آخر ذلك، ممَّا لا يدركه من قرأ في الكتب وحدها.

ولهٰذا قال بعض المتقدِّمين كما ذكره العسكري في بعض كتبه وذكره غيره قال: من أعظم البليَّة تشيّخ الصَّحفيَّ. يعني الذين أخذوا العلم عن الصحف ولم يخالطوا المشايخ فإن تصدرهم يحدث بلاء وإن

انتفع الناس بهم، لكن عدم مخالطتهم لأهل العلم وأخذهم الهدىٰ والدلّ والسمت من أهل العلم فإنه يُفقدهم ذلك شيئا كثيرا، لهٰذا في هٰذا الدرس الموجز كمقدمة لهٰذه الدروس نعرض لبعض آداب طالب العلم مع المتعلم ومع شيخه وذلك إكمالًا لجملة آداب عرضنا لها فيما مضىٰ في صدر هٰذه الدروس.

أول الأدب مع المشايخ والمعلمين:

أن يكون الطالب حَسَن الظن بشيخه في العلم الذي يتعلمه منه.

وهٰذا يعني أن ينتقي لنفسه من يحسن العلم الذي يعلمه، معلوم أن أهل العلم لا يدركون كل العلوم، فليس من شرط العالم أو الشيخ الذي يعلم أن يكون متصدرا في كل فن وفي كل علم، هٰذا قلّ من يؤتاه، ولكن المهم أنه إذا تكلم في علم من العلوم أجاد، يحسن تقرير العقيدة، يحسن تقرير الفقه، يحسن تقرير الحديث، ويحسن تقرير التَّفسير، الأصول، النحو، إلىٰ آخر العلوم، فتأخذ العلم ممَّن يحسن تقريره، وهٰذا إذا تحرَّيت وأقبلت علىٰ العالم عالمًا بمنزلته في العلم الذي يعلمه فإنَّ الذي ينبغي عليك أن تحسن الظن به فيما يقول؛ يعني أن تأخذ ما يقول أخذ المستفيدِ لا أخذ المعترض.

وهٰذا كتقعيدٍ عام ينفع في حسن التلقِّي وقَبول العلم واستقرار العلم في الصدر؛ لأنَّ من المتعلمين من يحضر عند شيخ مثلا، وهٰذا المعلِّم أو الشيخ إذا تكلم تجد أن المتعلِّم يورد الاعتراضات علىٰ هٰذا الشيخ، وهو يتكلَّم يورد الاعتراضات فيما بينه وبين نفسه، فتجد هٰذه أنَّ الاعتراضات التي يوردها علىٰ كلامه تفوّته ربط الكلام بعضه ببعض، وتفوّته أيضا الاستفادة من الشَّيخ والمعلم فيما يقول وفيما يقرِّر.

لهٰذا أوَّلا انتقاء المشايخ، وأن تنتقي العالم الذي يحسن تقرير العلم الذي يدرسه كلٌّ في مجاله، فإذا اخترت فتُحسن الظنَّ به في أن الأصل فيما يقوله هو الصَّواب في هٰذا العلم، وألا تكثر الاعتراضات عليه فيما يقول وفيما يقرر.

الثاني من الآداب:

أن يكون طالب العلم متأدبا مع شيخه في لفظه وفي جلسته وفي فعله

وهٰذا أخذه أهل العلم من قصَّة جبريل مع المصطفي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في الحديث المشهور المعروف؛ وهو أنَّ جبريل لمَّا أتىٰ النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في صورة رجل جاء إليه متعلِّمًا، فأقبل النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وثنىٰ ركبتيه بين يديه وأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه وجعل يديه علىٰ فخذيه، فهٰذا أدبُ الجلسة بين يدي المعلِّم، وهٰذا الأدب يفيد فوائد منها:

أوَّلًا: أن يتعلم طالب العلم الصبر في التعلُّم.

والثَّاني: أن يكون هٰذا داعيا لإقبال الشيخ علىٰ المتعلم للإجابة؛ لأنَّ للمشايخ حبّ ورغبة فيمن يكون

متأدِّبًا في الكلام معهم؛ لأنَّه من سنن أهل العلم المتوارَثة أنَّ العلم إنما يكون في المتأدِّبين.

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أمسك بزمام ناقة زيد بن ثابت فقالوا له: هٰذا وأنت ابن عم رسول الله ﷺ؟! فقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا.

وقد جاء في بعض الآثار أن من السنة توقير العالم، وهٰذا له شواهده العملية من هدي الصَّحابة رضوان الله عليهم.

فإذن الجِلسة أمام العالم لها أثر، والتَّكلُّم معه في طريقته له أثر علىٰ المتعلِّم وعلىٰ العالم جميعا: أما أثره علىٰ المتعلم وهو أن يوطِّن نفسه علىٰ احترام العلم وأهله، وإذا العالم احترم العالم الذي يكون أمامه فإنه سيحترم العلماء الأولين، وكم رأينا من ذوي فضاضة وغلظة علىٰ العلماء الحاضرين فصاروا ذوي فضاضة وغلظة علىٰ العلماء العابرين السابقين، والأمر من جهة ما يَقَرُّ في نفس المتعلم واحد؛ فإذا تعلم الأدب في اللفظ فإنه يكون متأدبا في العلم وحمله.

كان رجلان أتيا إلىٰ الأعمش أحدهما صاحب حديث والآخر ليس بصاحب حديث، فأغلظ الأعمش -وكان فيه نوع حدّة- علىٰ صاحب الحديث بكلام فيه غلظة، فلما انتهوا قال الآخر لصاحب الحديث في حضرة الأعمش: لو قال لي ما قال لك لم أحضر إليه أبدًا. فقال الأعمش: أوَ يكون أحمق كمثلك يترك خيري الدنيا والآخرة لغلظتي.

إذا كان هٰذا تركَّب في نفس بعض المشايخ أو في كلامه أو في طريقة تعامله أن فيه غلظة، فهل يترك المتعلِّم الأدب لأجل شدة الشيخ أو لأجل تعنيفه أو نحو ذلك؟ هٰذا ليس بصحيح؛ لأن طالب العلم ما أخذ في طريق العلم إلا وهو مؤْثِرٌ له علىٰ الدنيا، مؤثر له علىٰ الرَّاحة، ومن جملة الدُّنيا والراحة أن يكون الكلام معه دائما بعبارة لا تسوؤه، ولهٰذا يدخل ذلك في التَّأدُّب في اللفظ بحيث أنه إذا سأل يسأل متأدبا، ينتقي أحسن العبارات، وإذا تكلَّم في حضرة شيخه تكلَّم بأحسن العبارات، وإذا أراد المعلِّم أو الشيخ أن يعنف أو عنّف أو تكلم فإنَّ ذلك الطالب يحتمله ولا يردُّ عليه مقالته.

[ثالثا:] من الأدب أيضًا مع الشيخ الأدب في الأفعال، وهو أن لا يرىٰ العالم طالب العلم علىٰ هيئة لا تحسن؛ في لباسه، أو في مشيته، أو في خفة في تصرفاته، أو في نقص في الأدب معه وهو يكلمه، فيكون معه في فعل حسن، قالوا: ومن الآداب أن لا يمشي المتعلم بين يدي شيخه إلَّا بأمر شيخه، وأن يكون وقورًا في مماشاة المشايخ غير مكثرٍ للحديث، غير مكثر للحركة، وهٰذا لا شك له أثر علىٰ المتعلِّم وعلىٰ الشيخ فيما يفيد به المتعلم.

فإذن هٰذه الثَّلاث -الأقوال والأفعال والجلسة، هيئة الجلوس- لها أثر في إقبال المتعلم علىٰ العلم

واحترامه أهله وفي إقبال المعلم علىٰ إفادة المتعلم.

من الآداب وهو الأدب الثالث:

أن يكون طالب العلم متأدِّبًا مع شيخه في السؤال

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في الصحيح أراد ابن عباس أن يسأله عن المرأتين اللَّتين تضاهرتا علىٰ رسول الله ﷺ، يقول ابن عباس: مكثتُ سنة أتحيَّن الفرصة لأسأله حتىٰ إذا كان وقت قفولنا من الحج ذهب عمر إلىٰ شجرة أراك ليقضي حاجةً له، فانتظرت فلما رجع سألته فقلت له: يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تضاهرتا علىٰ رسول الله ﷺ؟ فقال: هما عائشة وحفصة.

فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين لقد كان هٰذا في نفسي سنةً أريد أن أسأل عنه فما سألتك هيبة لك. قال له عمر: لا تفعل أبدًا ما بدا لك فسل وما كان عندي من علم أخبرتك به. أو كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هٰذا الكلام من عمر وهو الرجل المهيب من أثر أدب ابن عباس، فانفتح الباب لأجل هٰذا الأدب وهٰذه الهيبة التي كانت عند ابن عباس لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أجمعين.

هٰذا الأدب في المخاطبة وفي السؤال وتحرِّي الوقت المناسب، هٰذا مهمٌّ جدًّا في طالب العلم مع شيخه لم؟ أولا ليس كل وقت يكون بالُ المعلم أو بال الشَّيخ جيِّدًا محبذا لإجابة السؤال، هو بشر يعتريه ما يعتري البشر، وأعظم إذا كان السؤال بالهاتف في مثل هٰذا الزمان فإن المتَّصل لا يدري ما حال الشيخ، فقد يكون جوابه ليس تامًّا، وقد يكون لا يريد الجواب ونحو ذلك، فالطَّالب يكون عاذرا لشيخه في كل ما يحصل منه من جهة السُّؤال والجواب، وأن يكون ذا هيبة وأن يتحرَّىٰ الوقت المناسب للسؤال، فلا يسأله مثلا وهو متعب، لا يسأله في وقت يكون من حقوقه؛ يعني من حقوق الشيخ مع نفسه أو مع أهله، لا يسأله في وقت يريد الانصراف؛ لأن باله يكون مشغولا، قد لا يستحضر الجواب من كل جهة ومراد المتعلم من السؤال أن يستفيد من شيخه، وهٰذا إنَّما يكون في حال يكون فيها الشيخ مع طلابه حسن الاستحضار أو مرتاح البال فيفيض عليهم ممَّا عنده، أما إذا كان باله غير جيد فينبغي لطالب العلم أن يتحرىٰ وأن يكون شيخه حِسُّه مُحِسًّا بأن هٰذا الطالب يهابه ويحترمه ويحبه فإنه يختصه ويخصه بأشياء قد لا يفيضها علىٰ الآخرين، وهٰذا ظاهر بيِّن في سيرة كثير من أهل العلم.

انظر مثلا كم نقل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن شيخ الإسلام ابن تيمية من مسائل لم ينقلها غيره؛ بل كان يختصه بكلمات وبفوائد وبعلوم لم يعطها غيره.

وكذلك أهل العلم فيما يتواردون فإنهم يختصُّون بعض طلابهم بأشياء، وهٰذا إنَّما كان نتيجة لحسن أدب الطالب، وحسن إظهار هيبة الشَّيخ ووقت السُّؤال ونحو ذلك مما هو من الآداب العامَّة.

صيغة السؤال أيضا مهمَّة، عدم الاعتراض في الجواب هٰذا مهم، فإذا كان مثلا في الدرس فلا يحسن إذا أجاب الشيخ إجابةً أن يعترض الطَّالب؛ بل يذهب معه وينبهه إلىٰ رأيه في المسألة، إذا كان هو مثلا يعني الشيخ ترك شيئًا أو ما استحضر الجواب أو أخطأ أو ذهب ذهنه إلىٰ شيء آخر ونحو ذلك من عوارض البشر، ينبِّهه والأصل في أهل العلم أن يكونوا رجّاعين إلىٰ الحق، فإذا استبان الصَّواب إلىٰ الشيخ من جرّاء كلام الطالب عنده فإنَّه ينبه الطلاب بعد ذلك علىٰ هٰذا الأمر.

فإذن نخلص من هٰذا إلىٰ شيئين:

الأوَّل: أنه لا يُشترط أن يكون العالم مصيبًا دائما، مفصلا للمسائل دائمًا، قال: كنا –يعني في رواية الحديث– إذا نشطنا أسندنا وإذا كسلنا أرسلنا. يعني قد يكون الحديث مسندًا عند العالم فيختار أن يكون مرسلًا، فيقول مثلا: عن ابن عباس أن النبي –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– قال كذا، أو يقول الزهري قال رسول الله ﷺ كذا، وإذا نشط أسند، وهٰذا يعني أنَّ العالم قد يكون عند الجواب مفصلا؛ لكن لأجل شيء في باله، أو ضيق المجلس، أو ما يعتري المرء عادة يختصر الجواب، وقد يكون ثم في الاختصار شيء من الخلل.

فإذن طالب العلم إذا رأىٰ في جواب مسألة ما ليس بمستقيم، فإمَّا أن ينبِّه الشيخ أو أن يعرض السُّؤال مرَّةً أخرَىٰ في وقتٍ آخر؛ ليأخذ الجواب ويعرف اجتهاد العالم أو رأيه في هٰذه المسألة أو جوابه علىٰ السُّؤال؛ لأنَّ الشيخ والعالم أو المعلم ليس دائما نشيطًا أن يقول كل ما عنده، فتارة يكون نشيطا وتارة لا يكون نشيطا، فتجد الجواب مختصرًا وأحيانا ربما كلمة واحدة.

من الآداب أيضا وهو الرابع:

أن يكون طالب العلم مع شيخه صبورا

- والصَّبر يعني في التعلم.
- والصَّبر علىٰ أخلاق شيخه.
- والصَّبر علىٰ انتزاع الفوائد منه.

هٰذه ثلاثة أشياء:

المسألة الأولىٰ: صبره علىٰ التَّعلم: في أن يكون صابرا علىٰ حضور الدرس، كما قلنا إذا كان واثقا بعلم شيخه فلا يحكمن علىٰ شيخه أو يزهَد فيه إذا حضر درسا أو درسين أو ثلاثة، فهٰذا ربما تأتي عوارض، أو نوع الدرس يحدده، أو المتن مثلا ما فيه مجال للتفصيل وللإفادة، فلا يكن الطالب عجِلًا غير صبور في الحكم في التعامل مع شيخه وفي الحكم عليه.

وهٰذا كثير عند الشباب في أنهم يستعجلون في الحكم ولا يصبرون خاصة مع المشايخ الكبار الذين لهم علم بالعلوم الأصلية في الشريعة، والصبر عليهم ومعهم يفيد الطالب كثيرًا.

المسألة الثَّانية: الصَّبر علىٰ الشَّيخ من جهة أخلاقه: فقد قدَّمنا طرفًا منه؛ ما يشير إشارة إلىٰ أصل ذلك، وقصَّة موسىٰ عليه السلام مع الخضِر معلومة لديكم، كيف أنّ موسىٰ عليه السلام كما روىٰ البخاري وغيره «**سئل فقيل له: من أعلم أهل الأرض؟ فقال موسىٰ: أنا. فأوحىٰ الله إليه ايتي عبدَنا خضِرًا، فإنه أعلم منك**». في القصة المعروفة، وموسىٰ عليه السلام لما صحِب الخضر لم يصبر عليه:

قال في المرة الأولىٰ له -ركب السفينة فخرقها الخضر- فقال له موسىٰ: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الكهف]، لأنَّ الأصل الصبر.

المرة الثانية سأل فكرر عليه الجواب، فقال الخضر لموسىٰ: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ ﴾هٰذه فيها تخويف وفيها غلظة، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾[الكهف] ثم فارق الكليم الخضر بسبب عدم الصبر، ولو صبر- وددنا أن موسىٰ صبر – لأخذ منه علما كثيرا.

فهٰذا الأصل العام؛ وهو أن الطالب مع الشيخ يكون صبورا ولا يستعجل عليه في مسائل لا يحسنها الطَّالب، هٰذا وجدناه من بعض الإخوان؛ أنهم يستعجلون.

خُذْ مثلا علم قبل مخالطته لهٰذا العالم، والشيخ، علم مسألتين أو ثلاث مثلا في مصطلح الحديث، علم حكم المرسل أو حكم الحديث الضعيف والاستدلال به أو نحو ذلك أو الحديث الضعيف أو الحديث هٰذا ليس بصحيح، أو علم أن الراجح في المسألة كذا، فإذا خالط هٰذا عالما وابتدأ هٰذا بكلام ذهب ذاك لعدم صبره يعارضه، فيقول مثلا معترضا: هٰذا حديث مرسل، أليس هٰذا الحديث مرسل يا شيخ؟ -مثلا-، يقول هٰذا الحديث أليس حديثا ضعيفا؟ ونحو ذلك.

وهٰذا الطالب لقلة صبره وأيضا لقلة العلم فإنه اعترض، وهٰذا الاعتراض الذي هو من جراء عدم الصبر يسبب المفارقة وعدم إحسان الشيخ الظَّن بهٰذا الطالب وعدم إفادته.

ومعلوم كما قلنا أن العلوم مختلفة وأن المشايخ مختلفون في استعداداتهم وفي علومهم، وأيضا الطالب قد يكون متأثِّرًا بكلام عالم فيأخذ هٰذا الكلام ويدلي به علىٰ عالم فيقع منه عدم الصبر والاستعجال.

المسألة الثالثة: ترك الصبر الذي يفضي إلىٰ خسارةٍ في اقتناص الفوائد: العلم مراتب؛ هناك علم هو تقرير للعلم، مثل تحضر تسمع شرح كتاب وتقرير علىٰ متن أو تقرير علىٰ كتاب مطوّل، هٰذا علم يمكن

أن يؤدىٰ والطالب يسمع؛ لكن هناك فوائد لا يجدها الطالب في كتاب بسهولة؛ فوائد متنوِّعة حصَّلها الشيخ من مشايخه المتنوِّعين ومن معلومات كثيرة ومن قراءات متنوعة بضوابط وفوائد ونحو ذلك، وهٰذه الفوائد والضَّوابط والنُّكات الرَّصينة هٰذه لا يوصلها الشيخ لأي طالب؛ بل يخصُّ بها بعض طلابه؛ لأنها من الفوائد المهمة عنده، فلا يظهرها لكلِّ أحد، لهٰذا إذا صبر المتعلم علىٰ العالم فإنَّه يخصه بأشياء تفتح له باب العلم، بل ربما كانت الواحدة من تلك الفوائد تساوي رحلة كما يقال.

لهٰذا ينبغي لطالب العلم أن يكون صبورًا وأن يعلم أنَّه كلما طالت صحبته لشيخه وكلما طال حسن أدبه معه وكلَّما كان صبره عليه أكثر كلما أعطاه من العلم؛ من العلم الخاصّ الذي قد لا يكون ثم مناسبة لإبدائه لكل أحد، رأي العالم في النَّاس، رأي العالم في الأوضاع، رأي العالم في بعض المسائل الخاصَّة ونحو ذلك، هٰذه قد لا يحسن أن تُبدىٰ في الدروس، وإنما قد يخص بها بعض الطلاب، وهٰذا إنما يكون لمن عنده الأدب مع الشيخ وحسن ظن الشيخ بالطالب في أنه حافظ لكلامه مستفيدٌ منه.

الأدب الذي يلي هٰذا وهو الخامس:

أن يعلم الطالب أنّ حضوره لمجلس الشيخ إما في علم أو في مجلس ليس من مجالس العلم؛ يعني في مجلس معتاد في بيته أو يصحبه في رحلة أو يمشي معه في وعظ أو إلقاء دروس أو محاضرات أو علم أو نحو ذلك، أو يصحبه في حج أو في سفر إلىٰ آخره، أنْ يكون طالب العلم مع الشيخ متحريا للاستعداد.

يعني أن لا يبتدئ الكلام دون استعداد منه لذلك، بل يقتنص هٰذا الوقت ولو كان ضئيلا في أن يأتي الأسئلة المهمة المشكلة، أو أن يتحرىٰ الفوائد التي لا يكون المجال مفتوحًا أن يلقيها دائما، وهٰذا يحتاج إلىٰ استعداد، معلوم أنّ كل طالب علم إذا قرأ، فإن لديه مشكلات يشكل عليه قراءة في الكتاب الفلاني وكلام العالم، ويشكل عليه فتوىٰ العالم ولا يدري ما وجه هٰذا؛ هٰذا الحديث كيف يوجَّه، الفتوىٰ علىٰ كذا والحديث فيه كيف نوجه هٰذا، أنت قلت –مثلا– مرة كذا والسنة دلت علىٰ كذا، بما توجِّه هٰذا؟ وأشباه ذلك من المُشكلات التي تعترض طالب العلم في قراءاته، ومن المشكلات التي تعترض طالب العلم فيما يسمع من الفتاوىٰ والعلم، فإنَّ هٰذه تحتاج منه إلىٰ وقت مناسب للسُّؤال، وهٰذا كما ذكرت يحتاج إلىٰ استعداد.

فإذن صلة طالب العلم بشيخه في مجلس العلم أو في خارج مجلس العلم لا بد أن يكون علىٰ استعداد، لا يأتيه للمجلس هكذا عفوا، وخاصة في هٰذا الزمن الوقت فيه أصبح أقل من القليل، فإذا أراد طالب العلم أن يستفيد من المعلم أو من شيخه أو من العالم فيكون مستعدا للحضور فيما يفكِّر به وفيه وفيما سيعرضه قبل حضوره، من الناس مثلا من يظهر علىٰ باله سؤال وقت الجلوس فيلقيه، وهٰذا غير

مناسب؛ لأنه قد لا تكون أنت مفكِّرًا في السؤال من كل جهة فيأخذ العالم أو الشيخ الانطباع عنك بأنك تستعجل في السؤال، وبالتالي قد لا يفتح لك ويفصل لك أو يعطيك المنزلة اللائقة بعلمك.

فينبغي أن يكون طالب العلم مستعدا في مخالطته للعلماء وللمشايخ في أن يكون حذِرًا في الكلام هائبا بأن يسأل إلا بشيء يحسن السؤال عنه لا يورد إشكال إلا بإشكال يحسن الاستفهام عنه وهكذا.

وأما أن يحضر ويلقي أي سؤال أو أي كلام ونحو ذلك فهٰذا ليس مناسبا؛ لأنه قد يُعطي الشيخ نظرًا علىٰ طالب العلم ليس بحسن.

هٰذه بعض آداب عامة مع المشايخ، والأدب الذي ينبغي حفظه وتجده في الكتب التي ذكرنا بكثرة أن **موالاة طالب العلم لشيخه أنها واجبة**، ومعنىٰ الموالاة يعني أن يحبه وأن ينصره وأن يذُبَّ عنه ونحو ذلك بما يعلمه هو.

ولهٰذا جاء في كتب الآداب أو في بعضها أنه يُحرم الطَّالب من علم الشيخ إذا كان مغتابًا له، وهٰذه مجرَّبة؛ لأن غيبة طالب العلم للشيخ تُفقد محبته وتفقد الاستفادة من علمه بعد ذلك، والأمور تأتي شيئا فشيئا؛ لأن القلب كلما كان أكثر محبة وأكثر قبولا لما يُقال ورغبة في هٰذا المعلم أو في هٰذا الشيخ أو العالم كلما كان أذب عنه واحفظ لعرضه وأكف اللسان عنه.

وما علمنا أحد من خاصة طلبة أحد من أهل العلم المتقدمين أو المتأخرين إلا وينشرون محاسنهم، معلوم أن العلماء أو طلبة العلم ليسوا بأنبياء ولا يشترط فيهم الوَلاية؛ يعني أن يكونوا من كُمَّل المؤمنين وإنما يستفاد منهم علىٰ ما فيهم، وكلما كان العالم أو الشيخ أكثر إتِّباعا وأكثر استقامة وأكثر مجاهدة وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر فهو أعلىٰ لمقامه، لكن يؤخذ من العالم ما عنده وأن لا يتْبع العالم بزلته، فالعالم لا يتَّبع في زلته، وكذلك لا يُتْبَع في زلته، فلا يشنَّع عليه بأشياء يقولها مثلا وتنشر عنه ويترك الخير الكثير الذي يقوله.

فلو تتبع الناس سقطات العلماء في الماضي من الأموات رحمهم الله تعالىٰ ورفع درجتهم لوجدوا شيئا كثيرا، فما من عالم إلا وله زلة، ولما ذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة محمد بن نصر المروزي لما ذكر بعض ما قيل قال: ولو فتحنا هٰذا الباب -يعني ما يقال- لما سلم لنا محمد بن نصر المروزي ولما سلم لنا ابن منده ولما سلم لنا فلان وفلان.

فإذن العالم يغتفر قليل خطئه في كثير صوابه، كما قال ابن رجب في فاتحة كتابه «القواعد» حيث قال: فلقد سنح بالبال -يعني يصف كتابه- علىٰ جناح الاستعجال في أيام يسيرة وليال، والمنصف من اغتفر قليل خطإ المرء في كثير صواب. وهٰذا هو المنصف، يعني كل عالم لابد أن يكون له غلط هل يشترط في

العالم أن يحرر كل مسألة أو أن يكون إماما في كل مسألة ولو ذكرنا ما نقل فمالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ نقلت عنه أشياء كما هو معلوم، الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نُقلت عنه أشياء، أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقلت عنه أشياء، أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقلت عنه أشياء، وهكذا، العلماء ما منهم أحد إلا وثَمّ شيء، قال بعض أهل العلم هٰذا فيه حكمة من الله جل وعلا حتىٰ لا يظنَّ الناس بعالم أنه وصل مرتبة الأنبياء في أنه يؤخذ قوله كلُّه، وأن يقبل بعمله في الإقتداء كلّه؛ يعني أن يقبل بعلمه كله في الإقتداء، فلا بد من ظهور بعض النقص، وكلما قل النقص كلما ظهرت إمامة العالم وازدادت مكانته للناس وكلما زاد النقص كلما قلت مكانته وهكذا.

فإذن ينبغي لطالب العلم أن يتحقق قول الله جل وعلا: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۢ ﴾ [التوبة:٧١]، وأن يتحقق قول الله جل وعلا: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۢ ﴾ [المجادلة:١١]، وأن يعلم أن أهل العلم هم أهل الرفعة في هٰذه الدنيا وأن أهل العلم درجات فلا يجعلنهم في مرتبة واحدة وأن يطلب الكمال في العالم أو في المعلم أو في شيخه، هٰذا لا يكون، وما من أحدٍ إلَّا وله قصوره إما في مقاله أو في أفعاله أو تصوره للمسائل أو في إلقائه للعلم، فيأخذ الطالب من العالم أحسن ما يجده والحَكم في ذلك كله سنَّةُ المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام.

هٰذه كلمات مختصرة في ابتداء هٰذا الدرس.

وأسأل الله جلَّ وعلا أن ينفعني وإيَّاكم بما سمعنا، وأن يجعلنا متأدِّبين مع علمائنا ومشايخنا، وأن يلحقنا بالصَّالحين، وأن يجعلنا في زمرة العلماء العالمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبيِّنا محمَّد.

[الأسئلة وأجوبتها]

سؤال (١): سؤال يُكتب لثالث مرَّة: ورد عن الإمام أحمد أنه كان يترك السنة الراتبة، فإذا سئل عن ذلك قال: اكتفينا بدرس أبي زرعة أو كلمة نحوها، -(اكتفينا عن الرَّواتب بمذاكرة العلم مع أبي زرعة) هٰذه كلمة الإمام أحمد- فهل ينطبق هٰذا علىٰ وضعنا في هٰذا المسجد؟

الجواب: لا، لا يُتصور في عالم أو في طالب علم أو في رجل صالح يرجو ما عند الله جل وعلا ويحب المصطفىٰ ﷺ أنه يترك النوافل، فمن ترك النوافل رُدَّت شهادته كما قال أهل العلم، وإنما قد يترك العالم أو طالب العلم بعض النوافل لمصلحةٍ راجحة؛ لأن النوافل نفعها قاصر، وقد ينشغل طالبُ العلم بما نفعه متعدٍّ ويفوت وقته، فأبو زرعة من أهل الرَّي فلما قدم بغداد تذاكر العلم مع أحمد ليلة كاملة حتىٰ أصبح من بعد صلاة العشاء وفي النهار فترك الإمام أحمد الرواتب والوتر فيما يُذكر، وهٰذا لأجل أن مذاكرة العلم مع أبي زرعة هٰذا نفعها متعدٍّ للأمة مصلحتها عامة في العلم وفي الإرشاد وفي نقد الأحاديث

وفي تعليلها ونحو ذلك، والرَّواتب قاصرٌ نفعها علىٰ من أداها، وأيضا مذاكرة أبي زرعة تفوت والرواتب يمكن أن يزيد من النوافل المطلقة في وقت لاحقٍ ويأتيه الثواب.

يعني أنّ الأصل المتابعة في السنة، الأصل أداء هٰذه الرواتب، وقد يعرض لطالب العلم، قد يعرض للشيخ ما يرجحه من جهة أنه أفضل شرعًا لا من جهة هواه أو من جهة رغبته، ومعلوم أنَّ الرواتب أنها ليست مفروضة لكن من جهة المصلحة التي يرجوها في تركها المصلحة المتعدِّية، فهٰذا يسوغ، لكن لا يكون ديدنا له ولا هديًا له.

وهٰذه لها نظائر، فبعضهم ترك قيام الليل لأجل التَّفكُّر، وبعضهم ترك بعض الصلوات لأجل التَّأليف يعني الرواتب لأجل التأليف، ونحو ذلك مما هو معلوم.

سؤال (٢): ما حكم تحية المسجد، وماذا أفعل لو دخلت المسجد في وقت نهي؟

الجواب: تحية المسجد سنة مؤكَّدة وليست بواجبة علىٰ الصحيح، وإذا دخلت المسجد وقت نهي فالعلماء اختلفوا في ذلك اختلافًا كثيرا طويلا، والاختلاف من جهة التَّرجيح فيه صعوبة.

ومن أهل العلم من قال: النهي مقدم؛ النهي عن الصلاة في هٰذه الأوقات يعني أوقات النهي، وتحية المسجد سنة والنهي يدلُّ علىٰ التحريم فلا تصلَّىٰ وقت النهي، وهٰذا مذهب الإمام أحمد وجمع من أهل الحديث.

وآخرون من أهل العلم قالوا: إن النهي عن الصَّلاة في وقت النهي هي الأوقات الخمسة المعروفة، ثلاثة أوقات مضيقة ووقتان واسعان، هٰذا لغير الصلوات ذوات السَّبب، أما إذا كانت الصلاة لها سبب مثل ركعتي الوضوء ومثل تحية المسجد والاستخارة وركعتي الطَّواف وركعتي الدخول في الإحرام عند من قال به ونحو ذلك، فإن هٰذا يعتبر من ذوات السَّبب فتُفعل وقت النهي، وهٰذا مذهب طائفة من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وينصره طائفة من أهل العلم في هٰذا الزمن.

والشَّوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما عرض إلىٰ هٰذه المسالة ذهب مذهبًا غريبًا، هو أصولي وتعارضت عنده الأدلة؛ لأنَّ الدَّليل الذي فيه الأمر بصلاة المسجد فيه الأمر بتحية المسجد هٰذا فيه عموم، فيه أنه إذا دخل في أي وقت فيركع ركعتين، والنهي عن الصلاة هٰذا فيه خصوص الأوقات ولكنه فيه عموم الصلوات، وذاك فيه عموم الأوقات وفيه خصوص الصَّلاة، فأي العمومين يقضىٰ به علىٰ الآخر وأي الخصوصين يقضىٰ به علىٰ الآخر؟ نظر فيه نظرا أصوليا ولم يترجح له شيء -في نيل الأوطار-، وقال: فإن قلتَ ما الذي تحصل لكَ في هٰذه المسألة المشكلة؟ قلتُ: تحصَّل لي أن لا تدخل المسجد وقت النهي، حتىٰ لا تصلي تحية المسجد. يعني لا تدخل المسجد أصلا.

وهٰذا يبيِّن لك أن المسألة مشكلة من جهة الترجيح لتعارض العمومين فيها والخصوصين، وإذا أعملنا القاعدة أن الاحتياط يقضي بالترك لأجل النهي، وأن درأ المفسدة مقدَّم وإذا اجتمع حاظر ومبيح فيقدم الحاضر ونحو ذلك من القواعد، فإنه يرجَّح بذلك عدم أداء الصلاة وقت النهي كما هو مذهب الإمام أحمد.

ومن نظر في أنها ذات سبب وأنّ النبي عليه الصلاة والسلام أمر الرجل الذي أتىٰ وهو يخطب في الجمعة وقال له: «**أصليت ركعتين**» فقال: لا، فقال: «**قم فصليهما**»، وأن ذلك كان وقت نهي، جعل ذلك من ذوات الأسباب.

وتبقىٰ المسألة فيها هٰذه المذاهب.

سؤال (٣): ما رأيك يا شيخ في الإكثار من الأسئلة علىٰ الشيخ من باب الأخذ أكبر كمية من العلم، أي حرصًا من الطالب؟

الجواب: أولا العلم ليس بالسؤال، العلم بالتعلم، السؤال كاشف عما يشكل في العلم، وإذا كان طالب العلم يُكثر من السؤال لأخذ العلم فلن يحصّل علما؛ لأن الأسئلة لا يجمعها زمام، ومعلوم أنّ تقرير العلم من جهة الكتب غير الجواب علىٰ الأسئلة، وقد نأتي نقرر المسألة في كتاب ونفصل الكلام فيها ويأتي السؤال ويكون الجواب عليه مقتضبا أو يكون الجواب عليه له منحنىٰ آخر.

فإذن العلم التأصيلي ليس بالأسئلة، هٰذا كأصل تأخذ معك، الأسئلة إنما تنفع لكشف ما يشكل، شيء يشكل عليك في العلم تسأل عنه لكشفه، وأما إذا كان السؤال للتعلم فليس كذلك، فالعلم ليس بالسؤال وإنما يؤخذ العلم بالتعلم والسؤال بالعلم في كشف ما يشكل من العلم.

سؤال (٤): من الملحوظ قلة من يتصدىٰ لتدريس علوم الآلة من أهل العلم فما هو السبب، وما هو الحل بالنسبة للطالب؟

الجواب: علوم الآلة محدودة، ولا ينبغي للطالب أن يُكثر من علوم الآلة علىٰ حساب العلوم الأصلية؛ علوم الشريعة العقيدة، التوحيد، الفقه، الحديث، التفسير، هٰذه هي العلوم الأصلية التي ينبغي لطالب العلم أن يعتني بها، ويأخذ من علوم الآلة ما يحتاجه لفقه الكتاب والسنة، هٰذا هو الأصل الذي ينبغي لطالب العلم أن يتعاهده.

علوم الآلة طويلة عريضة ليس لها طرف، بحر لا ساحل له، وهي علوم اصطلاحية، والتحقيق فيها وفهمها يحتاج منك إلىٰ وقت طويل وإلىٰ أخذ عن عدد من العلماء؛ لأن استيعاب تلك العلوم متنوع، وعرض تلك العلوم أيضا متنوع، فمنهم من يعرضها بتوسط، ومنهم من يعرضها بطول، من أهل العلم

من يعرضها لحاجة الطالب لما هو فوق حاجة الطالب إلىٰ آخر ذلك، فلذلك أنت تأخذ منها ما ينفعك في فقه الكتاب والسنة، وخاصة النحو وأصول الفقه.

النحو وأصول الفقه هٰذه ينبغي علىٰ كل طالب علم أن يعتني بهما، ولم أذكر أصول الحديث يعني المصطلح؛ لأن الغالب يهتم بالمصطلح، غالب من نرىٰ من الإخوان الاهتمام بالمصطلح، لكنهم لا يهتمون بالنحو ولا بأصول الفقه، وهما علمان مهمان فالعلوم الثلاثة هٰذه: أصول الفقه، أصول الحديث، أصول العربية يعني النحو، هٰذه أهم علوم الآلة.

سؤال (٥): قد يوجد تقرير لبعض العلوم عند الأصاغر بما لا يجده المرء عند الأكابر، فيترك هؤلاء ويلزم هؤلاء في أخذ العلوم؟

الجواب: أن العلم يؤخذ ممن يفيد فيه، فقد يكون الصغير أكثر إفادة، لكن لا يترك طالب العلم أهل العلم الكبار لا يسألهم ولا يحضر دروسهم ولا يأخذ من هديهم ولا يحضر مجالسهم، هٰذا يعطي خللا في بِنية طالب العلم في نفسه، الذي ينبغي أن يأخذ العلم ممن يفيده، إذا كان طالب العلم الذي هو أقل في سنه أكثر إفادة للطالب فيأخذ منه، ولكن لا يترك أهل العلم الكبار والمشايخ.

فهنا مسألة ينبغي التنبيه عليها، وهي أنه ليس تقييم طالب العلم من جهة الفائدة الكبرىٰ أو كَثرة الفوائد يكون بكثرة الكلام، قد يكون الشرح طويلا لكن الفائدة قليلة، مثل ما قال ابن رجب في كتابه «**فضل علم السلف علىٰ علم الخلف**» وهو كتاب مهم ومفيد جدا –فضل علم السلف علىٰ علم الخلف– قال: **كلام السلف قليل كثير الفائدة، وكلام الخلف كثير قليل الفائدة.**

قد يكون المعلم الذي سماه الأخ السائل سماه من الأصاغر يعني ممن يصغر الكبار في سنه أو نحو ذلك قد يكون أكثر تفصيلا أو أكثر معلومات لكن طريقته لا تفيد الطالب هٰذا لا يعني أنه أكثر إفادة، قد تكون المعلومات أكثر ولكن الإفادة أقل، قد يكون كلامه من جهة التفصيل ومن جهة الاستطراد أكثر ولكن إفادته أقل؛ لأن العالم يربي طالب العلم في العلوم، يريبه شيئا فشيئا، يعطيه ما ينفعه وما يحتاجه في فهم المتن، في فهم الكتاب الذي يُقرأ عليه، وهٰذا لابد فيه من رعاية لهٰذا، ذكر العلماء في قوله تعالىٰ ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران]، أن الرباني هو الذي يربي الطلاب بصغار العلم قبل كباره يعني في التربية ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ففي تعليم الكتاب وفي الدرس يحتاج إلىٰ تدرج، فإذن ينبه الطالب لأن الأصاغر لا يعني كثرة كلامهم وكثرة تفصيلاتهم أنها أنفع، فقد تكون أنفع وقد لا تكون أنفع بحسب المنهجية والطريقة.

سؤال (٦): بعض الطلاب يهتمون كثيرا بالدروس في المساجد ولا يهتمون بالدراسة المنهجية في الجامعة، فيكون الطالب متعثرا في الدراسة المنهجية بحجة أنّ العلم يؤخذ من المساجد؟

الجواب: هٰذا غير صحيح؛ بأن الدراسة الجامعية ليست مفيدة، لا الدراسة الجامعية مفيدة، ولكن:

كثرة المعلومات، واحد.

عدم بروز المعلِّمين فيما يعلّمون، اثنين.

وعدم ثقة الطالب في مشايخه في الجامعة لأسباب، ثلاثة.

أيضا ضعف بعض الأساتذة في الجامعة في المستوىٰ العلمي يجعل الطالب لا يتفاعل مع الدرس في الجامعة.

أيضا الهدي العام، والسمت وملازمة السنة، وإذا سأل الطلاب بعض الأساتذة في الجامعة وجاءت إجاباتهم ليست بمستقيمة فإنه لا يحسن الظن به أوْ لا يستفيد منه.

فيه عوامل كثيرة وأسباب كثيرة، تجعل الطالب لا يحسن أو لا يحبِّذ الدراسة في الجامعة من جهة الجد، وهٰذا غير جيد.

الكتب التي تدرسها في الجامعة في الإجمال كتب منهجية عظيمة؛ لكن قد تكون أعلىٰ من مستوىٰ بعض الطلاب فهي موضوعة لمستوىٰ الطلاب قبل ثلاثين سنة، نفس الكتب التي درسها الآن يدرسها الطلاب مثلا في الشريعة يدرسوها في أصول الدين هي نفس الكتب التي كانت تدرس منذ عشرين، ثلاثين سنة لما كان الطلاب يقرؤون علىٰ المشايخ وكانوا أقوىٰ وكانوا يتخرجون من المعاهد العلمية ومستواهم أعلىٰ.

فإذن الخلل متنوع، فكثرة المعلومات التي يتلقاها الطالب في الكلية تجعله ما يتحمَّل، ويجد أن الدراسة في المسجد أيسر، أيضا الدراسة في الجامعة يجد أنها ليست بالطريقة التي يرتاح إليها.

هٰذه نظرة عامة، يبقىٰ ولا شك أنّ المسجد له بركته، مكان عبادة وهو أحب البقاع إلىٰ الله جل وعلا، واجتماع الطلاب وهم جالسون علىٰ الأرض ويسمعون ويثقون بالمعلم ويأخذون منه، وكلٌّ يحرص علىٰ هٰذا الدرس هٰذا أمر نفسي وأيضا عبادي ويجعل النية فيه صالحة، ولهٰذا يستفيد أكثر، فإذن المسألة تحتاج من طالب العلم إلىٰ تعاهد في نفسه وكلٌّ يقيّم نفسَه.

سؤال (٧): هل يصح أن يقال: إن من صفات طالب العلم كثرة الشيوخ حتىٰ يتجرَّد طالب العلم من التعصب للرجال كما يظهر من حال أهل الحديث بخلاف حال كثير من أهل الفقهاء؟

الجواب: التعصُّب مذموم بالاتِّفاق، التعصب مذموم بالاتفاق؛ باتفاق المحدثين والفقهاء وجميع

أصناف العلماء، لكن ما هو التعصُّب؟

التَّعصُّب أن تأخذ بقول وتنصره وتدفع غيرَه مع عدم وضوح الدليل عليه، هٰذا هو التعصب، تأخذ بقول فلان لأنه قال، والأصل عندنا أن الحق لا يعرف بالرِّجال، ولكن الرجال يعرفون بالحق، هٰذا الأصل العام عند السلف؛ يعني أن قبول كلام المتكلم إذا كان علىٰ إطلاقه وتدفع عنه وتنصره سواء وافق الحق أم لم يوافقه ولو ظهر لك الدليل بخلافه، فهٰذا هو التعصب المذموم هٰذا هو الذي يقال فيه تعصب، أما أن يكون الرجل محبًّا لشيخ من المشايخ ويأخذ بأقواله لظهور دليلها عنده، أو يأخذ طائفة من الناس بمذهب من المذاهب لظهور الدَّليل عندهم فيه أو لمتابعتهم لتأصيل المذهب فهٰذا ليس بتعصب إذا لم يردوا القول الحق إذا ظهر الدَّليل.

فإذن ثَم فرق ما بين المتابعة والتقليد، فقد يتابع المذهب في مسألة ويتابع شيخًا معينا في مسألة لاقتناعه بكلامه مع أنَّ السنة تكون بخلافه، لكنه هو مقتنع بكلام هٰذا العالم وبوجهة نظره في هٰذا الدليل وبتوجيهه لهٰذا الاستدلال ونحو ذلك فيأخذ به هٰذا لا يعد تعصبا، فلو كان كذلك لقيل في كل من أخذ يقول أحد من أهل العلم إنه يتعصب له، وهٰذا ليس بصحيح.

فإذن كثرة الشيوخ قد تكون محمودة وقد تكون مذمومة؛ قد تكون محمودة إذا كانت في تنوُّع العلوم، وقد تكون مذمومة إذا كانت كثرة الشُّيوخ تسبب الإرباك لطالب العلم في طلب العلم، بعض الناس يذهب هنا يحضر لعشرة أو لستة أو ثمانية من أهل العلم هنا وهناك وفي النهاية ماذا حصّل؟ تجد أنه لم يحصّل، والأفضل أن يجعل له شيخا مختصا في التوحيد والعقيدة فيأخذ طريقته حتىٰ ينهيها معه، ثم بعد ذلك يريد أن ينتقل إلىٰ غيره لا بأس، فهو يأخذ له شيخًا في الفقه ويأخذ ما عنده، ويأخذ له شيخًا يثق به في السنة؛ الحديث، ويأخذ ما عنده في ذلك، ثم كل طالب علم تتكون شخصيّته بقدر تأثير الشيخ المعين فيه، فهو يميل لفلان في الفقه، يميل إلىٰ فلان في الحديث بحسب استعداداته وما جعل له.

طلَّاب شيخ الإسلام ابن تيمية منهم المتخصِّص في العقيدة، ومنهم المتخصص في الفقه كابن مفلح، ويكون في غير ذلك أقل، ومنهم المتخصِّص في الرَّد علىٰ المتصوفة ومنهم المتخصِّص في الرجال ونحو ذلك.

فإذن لا يعني الأخذ من شيخ والذب عنه وتلقي ما يقول أن يكون الرجل الطالب كهيئة شيخه في كل شيء لا يعني ذلك؛ بل يكون هو باستعداداته وبما وهب الله جل وعلا وما يسر له وما قدر له «**واعملوا فكل ميسر لما خلق له**» يكون ينصبغ بصبغة جديدة بحسب ما كتب الله جل وعلا له.

كما يظهر من حال أهل الحديث بخلاف حال كثير من الفقهاء، بعض أهل الحديث يتعصبون أكثر من

تعصب الفقهاء، وبعض أهل الفقه يتعصبون أكثر، وهٰذا ليس علىٰ إطلاقه أنَّ كل من كان من أهل الحديث ليس بمتعصب وكل من من أهل الفقه فهو متعصب هٰذا ليس بصحيح، ولا يقول هٰذه من يفقه العلم ويعرف مدارك أهله.

لأن أصلًا التقليد يجري مثلا أخذ قول العالم الفلاني بأن الحديث صحيح؛ أحد العلماء قال هٰذا الحديث صحيح وبناء عليه نأخذ منه كذا وكذا، طيب هل هو شارك العالم الفلاني الذي أخذ قوله هل شاركه في صحة الحديث؟ هل شاركه في البحث وصارت صحة الحديث عنده عن دليل لا عن تقليد له؟ سؤال.

الثاني هل إذا نظر في الرجال نظرا متجردا سيشارك هٰذا العالم؟ لا.

الخلاف في درجات الحديث وهل الحديث هٰذا صحيح أو حسن أو ضعيف بين أهل العلم في الحديث أكثر من خلاف الفقهاء؛ لأنها مبنية علىٰ الحكم علىٰ الرجال، ومعلوم أن الرجال من الرواة المتفق عليهم قليل؛ قليل جدا وأكثر الرواة مختلف فيهم، إما من جهة الثقة والضعف هل هو ثقة أو ليس بثقة، وإما من جهة صحة حديثه مطلقا في بعض الأحيان كحال المختلطين، وإما من جهة صحة حديثه في بلد وعدم صحته في بلد آخر كحال عدد مثل معمر وغيره، معمر من رواة الصحيح لكن حديثه في البصرة إذا علمنا أن الحديث هٰذا في البصرة فإنه ضعيف وإن كان من رواة «الصحيحين»، وهو من الأفذاذ في العلم، وهل هٰذا الحديث معلل؟ ومعلوم أن العلل والتعليل يدخلها الاجتهاد في كثير من الأحيان، هل يرجح قول يحيىٰ القطان في هٰذا الرجل علىٰ قول أحمد؟ هل يرجح قول بلدي الرجل؛ يعني إذا كان الرجل كوفيا نرجح قول العالم من أهل الكوفة في ثقته أو نرجح قول البغدادي في توثيقه؟

هٰذه مسائل كلها تبين لك الكلام في صحة الإسناد أيضا فيه خلاف وميدان فيه للاجتهاد والأخذ والنظر.

هل يؤثر العمل في صحة الحديث أم لا يؤثر؟ هل تؤثر رواية الصحابي في تقوية المرفوع أم لا؟ وهٰذه مسائل كثيرة تحتاج إلىٰ نظر.

ولهٰذا نقول: إنّ التقليد يكون من أهل الحديث في صحة الأحاديث وفي قبولها كما يكون في أهل الفقه في قبول الفتوىٰ ونحو ذلك، فالتقليد موجود لن يسلم أحد من التقليد؛ لكن هو درجات، والتعصب هو المذموم.

سؤال (٨): كيف نفسر قبول كثير من السلف عند النظر في بعض شيوخهم أنهم أهل نحل وملل من غير أهل السنة والجماعة، مع أن المشهور عن السلف انتقاء الشيوخ؟

الجواب: هٰذا الكلام ليس صحيح علىٰ إطلاقه، فالسلف في رواية المبتدعة لم يجعلوا المبتدعة علىٰ درجة واحدة، بل التحقيق أن المبتدعة من أهل الرِّواية درجات، فإذا علموا أنّ هٰذا الرَّاوي الذي اتُّهم بالبدعة أنه صادق في قوله صادق في روايته فإنه يقبل حديثه ولا يقبل مطلقا، بل يقبل بعض حديثه انتقاء كما خرج البخاري لعمران بن حطان وكما خرّج لقتادة وكان يرىٰ القدر إلىٰ آخره.

هناك عدد من أهل العلم من رواة الحديث لم تؤثر بدعتهم في صدق حديثهم، وكان منهم من أثَّرت بدعته في صدق حديثه، كما قال أحدهم: كنا إذا هوينا أمرا صيَّرناه حديثا.

بعض أهل العلم يقول: لا يؤخذ برواية المبتدع فيما يؤيد بدعته أما في غيرها فلا بأس.

والتَّحقيق عند أهل العلم عند المحققين كما ذكرها ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكلامه متين في آخر «شرح علل الترمذي»: أنّ المسألة فيها تفصيل، وأنه لا يُطلق القول بقبول رواية المبتدع ولا يُطلق القول بردها، بل لابد من التفصيل.

والمذاهب في المسألة متعددة:

منها مذهب من يردُّ أحاديث المبتدع إطلاقا، هٰذا مذهب شائع.

ومنها مذهب من يقول العمدة في رواية المبتدع صدقه فإذا ثبتت ثقته من جهة الصدق فلا ننظر إلىٰ عدالته من جهة البدعة، وهٰذا مذهب بعض المتأخرين وليس بجيد.

ومذهب المحققين من أهل العلم كالبخاري ومسلم والإمام أحمد وجماعة أنهم ينظرون إلىٰ هٰذا المبتدع فيما يروي بحسب بدعته، فلا يجعلون البدع مرتبة واحدة، فبدعة الإرجاء لا يجعلونها كبدعة الخروج؛ يعني أن يكون مرجئا ليس كأن يكون خارجيا، فالقدري حال، الجهمي حال، المعتزلي حال، المرجئ حال، وهكذا في أنواع البدع، فيجعلون لكل ما يناسبه فالذين ابتلوا بالقدر من أهل البصرة عُفي عن أكثرهم من جهة الرواية، الخوارج أنتقي من أحاديثهم ما ظهر صدق القائل فيه أو غلب علىٰ الظن صدق القائل فيه، فمنهم من كان يرىٰ الكذب في الحديث كفرا، من طوائف الخوارج من يرىٰ الكذب في الحديث كفرا، ولهٰذا قبل منهم عدد كما في «الصحيحين»؛ لكن في الجملة ترىٰ أن هؤلاء نوادر أربعة خمسة عشرة لكنهم نوادر في جملة الرواة .

كذلك المرجئ تجد أنه يتركون الرواية عنه، لهٰذا البخاري قال: في كتابي هٰذا لم أخرج لأحد إلا وهو يقول الإيمان قول وعمل. ما روىٰ لأحد وهو يقول الإيمان قول وعمل هٰذا قد يكون من جهة التعزير أن لا يروي عن مرجئ، وقد يكون من جهة اتهامه في صدق حديثه.

أما الجهمية والمعتزلة فإنهم لم يرووا عن جهمي وعن معتزلي شيئا بل من أجاب في الفتنة فتنة خلق

القرآن وسكت فإنهم تركوا حديثه اتِّقاء واحتياطا، حتىٰ البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع جلالته وأنه إمام من أئمة أهل السنة والجماعة وأمير المؤمنين في الحديث لما ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل قال محمد بن إسماعيل البخاري ترك أبي وأبو زرعة الحديث عنه، يعني أنه عند أبي حاتم وعند أبي زرعة متروك قال لما أظهر القول في اللفظ في القصة المعروفة بينه وبين محمد بن يحيىٰ الذهلي فيما هو معروف.

لما ترجم لمسلم لأجل تولي قال صدوق تجد مسلم بن الحجاج النيسابوري صدوق، هٰذه الفتنة ترىٰ أن من وقف فيها أهل الحديث وأهل السنة اشتدُّوا في التغليظ عليه حتىٰ لا يقتدي الناس بهم، مع أن الأمة أجمعت علىٰ إمامتهم وجلالتهم كالبخاري ومسلم وعلي بن المديني ويحيىٰ بن معين إلىٰ آخره، وهل يصبر كل أحد علىٰ ما قوي عليه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أسأل الله أن يغفر لهم ولنا وأن يحشرنا معهم في زمرة أوليائه وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمَّد.